واقع تعليم مادة النحو في الجامعة الجزائرية و سبل تيسيرها.

د. لزرق زاجية *.
المركز الجامعي أحمد بن يحى الونشريسى-تيسمسيلت-الجزائر
Lazregzadjia38@gmail.com

الإرسال: 2020/03/28. **القبول:**2021/02/08 **النشر:** 2021/03/10.

الملخص: أود أن يكون هذا البحث إثارة علمية لإشكالية تعليمية القواعد العربية (النحو) في الجامعة الجزائرية ، والصعوبات التي تعيق سير هذه العملية ، وكيف يمكننا تسهيل تعليمها وجعلها في متناول المتعلمين.لذلك ركزت على الحديث عن واقع تدريس النحو في الجامعة الجزائرية و ما يشهده من تراجع و رتابة.. تستدعي النظر و المراجعة ،طارحة مجموعة من الإشكالات يتناول معظمها الطريقة المعتمدة في تدريس النحو ، أو في طريقة تعامل الطالب مع القاعدة النحوية ، مع معرفة العلاقة بين اللغة و النحو بالطبع ، و من ثم العلاقة بين ملكة اللسان و صناعة العربية ، و تحديدا كما وصفها ابن خلدون في مقدمته...لأصل إلى تفصيل العلاقة بين النحو العلمي و النحو التعليمي في الدرس النحوي-و لو باختصار- و ركزت على الثاني (أي النحو التعليمي) لارتباطه بالعملية التعليمية التعلمية ، التي ينتظر منها تذوق أساليب منتظمة للغة منشئة تعبر عن مستوى ملكته اللغوية في بيئته الاجتماعية...لأصل في الأخير إلى تقديم مجموعة من الاقتراحات تتعلق بسبل تعليم النحو في الجامعة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: التعليم ، النحو العلمي ، النحو التعليمي ، الجامعة الجزائرية ، تيسير إصلاح.

The reality of teaching grammar at the Algerian. University and ways to facilitate it

* **المؤلّف المرسل.**

Summary : I would like this research to scientifically raise the educational problem of Arabic grammar (grammar) in the Algerian University, the difficulties that hinder the progress of this process, and how we can facilitate its teaching and make it accessible to learners. Therefore, I focused on talking about the reality of teaching grammar at the Algerian University and the regression it witnesses And monotony ... calls for consideration and review, raising a set of problems, most of which deal with the method adopted in teaching grammar, or in the way the student deals with the grammatical rule, with knowledge of the relationship between language and grammar of course, and then the relationship between the queen of the tongue and the Arabic industry, And specifically, as Ibn Khaldun described it in his introduction ... to come to detail the relationship between scientific grammar and educational grammar in the grammatical lesson - even if briefly - and I focused on the second (i.e., didactic grammar) because of its link to the educational learning process, which is expected to taste regular methods of language An institution that expresses the level of his linguistic knowledge in his social environment ... to begin at the end to present a set of proposals related to methods of teaching grammar at the Algerian University.

Key words: education; scientific grammar; educational grammar; Algerian university; facilitation; reform.

1 مقدمة: اللغة العربية مفخرة أهلها في كل زمان و مكان ، و العرب قوم يعتزون بلغتهم و فصاحتهم اعتزازا كبيرا ، و يفاخرون بها غيرهم من الأمم ...و عندما أراد الله تعالى أن يجعل لرسوله معجزة يتحدى بها قومه أنزل عليه القرآن الكريم بلسان عربي مبين...و كان ارتباط اللغة العربية بالعقيدة الإسلامية دافعا للعلماء المسلمين في التصنيف والتأليف

ووضع القواعد و المعاجم حفاظا على هذا القرآن و حرصا على فهمه و تفسيره...و يصح أن يكون النحو مفخرة العرب و واحد من انجازاتهم العظيمة ، حتى قال قائلهم:

و النحو مثل الملح إذا ألقيته في كل ضد من كلامك يحسن.

و قال آخر : النحو في الطعام كالملح في الكلام.

إن ما تحتويه هذه الدراسة ما هو إلا محاولة بسيطة في حاجة إلى تعميق وروية ، لأن ميدان التعليمية (الديداكتيك) واسع ومحطاته متعددة ، ومتشابكة ، و لأن إشكالية تدريس القواعد العربية (النحو) في الجامعة الجزائرية كبيرة ومعقدة في تعليمها وقراءتها ، لأنها تدخل ضمن إشكالية أكبر هي امتلاك الأمة العربية عامة والجزائر بخاصة الوعي الكافي على ترقية اللغة العربية والإعلاء من شأنها ، وامتلاك الاستمرارية في تطوير أساليب تعليمها وطرائق توصيلها للناشئة... واللغة في كل أمة لا تكتمل شخصيتها إلا بقواعدها ، ذلك أنها في كل لغة من اللغات النظام الذي يحكم العلاقات الرابطة بين الألفاظ لإنشاء التراكيب والجمل والقوانين التي ينبغي أن تلتزم في تراكيب الكلام ليكون القول دالا مفهما.

لكن إذا جئنا إلى واقع تعليم مادة النحو في الجامعة الجزائرية –وحتى في المدرسة الجزائرية بجميع مراحلها - ألفيناه يعاني نقصا ، فالمتعلم يحفظ القاعدة النحوية ، وحين يحاول ممارسة ما حفظه في خطاباته اليومية ، أو في تعبيراته الشفهية أو الكتابية ، فإنه يفقد الصلة بين التنظير اللغوي والحقل الذي تعمل فيه اللغة.

وكثير من الذين انتقدوا النحو العربي ، ربطوا تخلفنا اللغوي بطرق تدريس النحو وتركيزها على الشاهد الذي لا أثر له في الواقع الاستعمالي ، أو الشعر الذي ينفرد بلغته الخاصة ،أو الجزئيات والتفريعات التي لا تخدم العلم ولا تراعي مستوى المتعلم ، وحملوا مدرس النحو بعض الأوزار وجزءا من مسؤولية التخلف العام .

1- واقع تدريس القواعد العربية (النحو) في الجامعة الجزائرية: [1] لا يستطيع أحد اليوم أن ينكر مدى الجهود التربوية المبذولة في بلادنا لتيسير المنظومة التربوية وتطويرها وتجديدها بناء على مجموعة من التجارب والأساليب والممارسات التعليمية المتنوعة لدى المعلمين والأساتذة ، وهذا كله في إطار فلسفة تربوية تعليمية تغيرت من حقبة لأخرى من طرف الممارسين التربويين في إطار إصلاح المنظومة التربوية ، كان لابد من إعادة النظر في برامج التعليم ومناهج وطرائق التدريس في المراحل الأربع (التعليم الابتدائي – المتوسط – الثانوي والعالي) وفق المتطلبات المعرفية والعلمية الجديدة الموجهة .

لقد بنت الدولة الجزائرية الجامعات و المراكز الجامعية في كل ولايات الوطن ، من الشمال إلى الجنوب و من الشرق إلى الغرب , و أوكلت مهمة تدريس علوم اللغة العربية إلى أقسام اللغة العربية ، تحت إشراف المعاهد المختصة في ذلك بالطبع ،و هذه الأخيرة أصبحت تندرج ضمن ما يعرف بكليات العلوم الإنسانية الموجودة في كل جامعة .كما سهرت الدولة على التكوين العلمي و البيداغوجي للإطارات العلمية أي الأساتذة المختصين الذين يعملون كل حسب توجهاتهم و اختصاصاتهم و الذين بعملون أيضا دائبين على الرفع من مستوى التعليم و التعلم في بلادنا.

وأعود للقول أنه بالقدر الذي أصبحت سبل البحث في الدرس النحوي ممهدة ، والإمكانات وافرة ، والوسائل متنوعة ، يتراجع الدرس النحوي. وصارت استجابة الاهتمام تقارب اللاشيء وسادت الرتابة في تقديم المادة اللغوية للمتعلم... إنها ظاهرة ملفتة للانتباه ، وتستدعي مراجعة بناء منهاج الدرس النحوي في المستويات المختلفة — وبالأخص المستوى الجامعي- وتكوين من يقوم بهذه الرسالة ، تكوينا يمكنه من استقراء محتوى المنهاج وترتيب موضوعاته بما يتناسب والقدرات الفعلية لمتعلميه ، وفحص طرائق التدريس ، وتنويع التقنيات والوسائل كلما دعت الضرورة إلى ذلك حتى لا ندع فساد الألسنة يصدع مفصل العربية.

قد وجدت نفسي منطلقة من النتائج أو من الحلول للوصول إلى الأسباب الرئيسة لهذه المعضلة، وأنا أقول أن جامعتنا الجزائرية تعاني نقصا عميقا في مستوى تعليم مادة النحو فالطالب يلتحق بالجامعة وهو يعاني من صعوبات كبيرة في نشاط الثروة اللغوية ، بحيث أن رصيده اللغوي ناقص جدا ، وهو يميل في تعبيراته الشفوية والكتابية -أحيانا- إلى العامية بدل العربية الفصحى... ويتخرج من الجامعة ، وهو لم يتخلص بعد من هذه العوائق.

ولنا أن نتساءل عن سبب هذا الضعف اللغوي الذي يشهده معظم طلبتنا ، فهل يكمن النقص في المستوى اللغوي الذي تقدم به مواد التدريس ؟ أم في طبيعة البرنامج المقرر ؟ أم في الطريقة المعتمدة في تدريس مادة النحو ؟ أم في طريقة تعامل الطالب مع القاعدة النحوية ؟ فهذه الأسئلة وغيرها هي التي وجهت عنوان المداخلة ، دون أن أنسى قضية أخرى ، اعتقدها مهمة ، وهي معرفة العلاقة بين اللغة و النحو العربي ، لأن الكثير من الدارسين العرب المحدثين ممن تكلم في موضوع تيسير النحو وقعوا في هذا الخلط ، ووصلوا إلى نتائج خاطئة من جهة ومن جهة ثانية علينا أن نجيب عن استفهام ما يزال مطروحا ، وهو ماذا ندرس ؟ أندرس النحو بواسطة اللغة ؟ أم ندرس اللغة بالنحو ؟ أم بكليهما ؟

2- بيـن اللـغــة والنـــحـو:

إنه لمن البديهي عند الدارسين للنحو العربي هو أن هذا النحو مستنبط من استقراء كلام العرب الفصحاء ، وهذا هو معنى تعريف النحو عند القدماء ، حيث عرفه **ابن جني** بأنه " انتحاء سمت كلام العرب ، ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها في الفصاحة " [2].و عرفه **ابن الأنباري** بأنه:

" علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب " [3] فلم يكن للنحاة فيه دور سوى الاستقراء و الاستنباط ، أي أنهم لم يخترعوا هذه القواعد من تلقاء أنفسهم ثم قاموا بفرضها على الناس ، وثمة أدلة كثيرة تدل على ذلك ، منها أن السبب الرئيس في اختراع النحو العربي كان لحفظ اللسان العربي من اللحن والضياع ، ومن وراء ذلك حفظ الكتاب والسنة بحفظ لغتهما فإذا ادعى مدع أن النحاة العرب كانوا يختلقون القواعد فهذا يعني أنهم كانوا يهدمون هذه اللغة بدل الحفاظ عليها ، وهذا ما لا يقوله عاقل فضلا أن يكون مسلما ، خاصة وأن النحاة واللغويين الأوائل كانوا كلهم من قراء القرآن الكريم ، فالطعن في قواعدهم يعتبر طعنا في القرآن نفسه ما داموا كانوا من حملة هذا الكتاب العزيز... و من الأدلة كذلك على أن النحو كان تابعا للغة هو ما نقرأه في كتب النحو مثلا من كثرة الشواهد على القواعد ، فما من قاعدة إلا و لها شواهد تثبتها سواء في الشعر أو النثر ، فضلا على أن النحاة و اللغويين العرب قد تمكنوا من تحديد رقعة الفصاحة اللغوية زمانا و مكانا. فقد حددوا الكلام المحتج به من حوالي مائة و عشرون سنة قبل الهجرة تقريبا ، إلى أواخر القرن الأول للهجرة ، مع اختيارهم و تخيرهم للقبائل الفصيحة ، التي بدأت تضيق رقعتها الجغرافية و المكانية حتى انقرضت مع أواخر القرن الرابع الهجري ، و ذلك بشهادة العلامة ابن جني الذي عبر عن ذلك قائلا: " ..و على ذلك العمل في وقتنا هذا ، لأنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا. و إن آنسنا منه فصاحة في كلامه ، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك و يقدح فيه ، و ينال و يغض منه " [4] أما من الناحية المكانية فإن النحاة و اللغويين العرب قد استبعدوا القبائل الحضرية و كذا القبائل المتاخمة للأعاجم في أطراف شبه الجزيرة العربية ، قد استبعدوها من رقعة الفصاحة و اعتمدوا على القبائل البدوية في أقاصي نجد و الحجاز مثلا.

و لذلك أمكن تصنيف المشتغلين بعلوم اللغة إلى صنفين أو مجموعتين:

***المجموعة الأولى:** اهتمت ببنية اللغة من أصوات و كلمات و تراكيب(جملة)، و أحسن من يمثلها **سيبويه** و يطلق على هذه المجموعة النحويين أو النحاة.

***المجموعة الثانية:** اهتمت بمفردات اللغة و دلالاتها جمعا و تصنيفا و يمثل هذه المجموعة كتاب العين للخليل ، و الجمهرة لابن دريد ،و الرسائل اللغوية للأصمعي و غيرها .و قد وصف مجال البحث في المجموعة الأولى بأنه النحو أو علم العربية ، بينما وصف بحث المجموعة الثانية بعلم اللغة أو فقه اللغة أو متن اللغة ، و قد وجدت محاولات أخرى لوصف علوم اللغة العربية فسميت بعلم اللسان أو علوم اللسان العربي أو علوم الأدب أو العلوم العربية " [5] وأول أثر نحوي وصلنا في هذا المجال هو كتاب سيبويه الذي درس فيه اللغة من جوانبها النحوية والصرفية و الصوتية دراسة علمية دقيقة ، و كانت النصوص محل الاستشهاد لديه الأبيات الشعرية و الآيات القرآنية (الأبيات الشعرية ألف و خمسون بيتا ، و الآيات القرآنية أربعمائة وثلاث و عشرون آية).و إذا تصفحت كتاب سيبويه فسوف تجده مملوء بالشواهد النحوية ،و التي يقول في الكثير منها: سمعت ، أو حدثني ، وغيرها من العبارات التي تدل على أنه كان يشافه العرب الفصحاء و يضع القوانين بناء على المشافهة ، حيث يقول: " و سمعت بعض العرب يقول بيس ، فلا يحقق الهمزة " " [6] و لا تجد في كتاب سيبويه شيئا من كلام العرب منسوبا إلى غير الفصحاء ، و الأمثلة الدالة على ذلك الكثير ، من ذلك قوله: " و قالوا في حرف شاذ: إحب ونحب و يحب " " [7] هذا فيض من غيض ، فالأمثلة في الكتاب لا تحصى ، و لكنني أردت أن أوضح للقارئ أن النحو كان تابعا للغة و ليس العكس ، بل إن نحاة العربية القدماء –كما أوضحنا-كانوا نقلة أمناء ، و لم يخترعوا شيئا من عندياتهم إلا القواعد المستنبطة من كلام العرب الفصحاء.

وثمة أدلة كثيرة لا يتسع المجال لذكرها جميعها ، غير أنها تتفق جميعها على القول بأن النحو العربي كان تابعا لكلام العرب ، ولم يكن كلام العرب تابعا للنحو العربي ، وهذا ما علينا فهمه اليوم ، أندرس النحو بواسطة اللغة ؟ أم ندرس اللغة بالنحو ؟ أو بكليهما ؟

لكن من يملك قدرة الإجابة على هذه الأسئلة بدقة ؟ هل هو الأستاذ ، أستاذ النحو في الجامعة ، أو المطبق الميداني الذي يملك مفتاح المسألة ، ويدرك الغاية والهدف من تعليم النحو ،أي يجب أن يتعلم النحو باللغة ، ولا تتعلم اللغة بالنحو. يقول **عبده الراجحي** في هذه القضية: "إن النحو العربي لم يقعد للعربية كما يتحدثها أصحابها ، وإنما قعد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام -هو في الأغلب- شعر أو أمثال أو نص قرآني..." " [8] وعلى هذا الأساس فالنحو العربي كان تابعا لكلام العرب ، ولم يكن كلام العرب تابعا للنحو العربي.

3- بين ملكة اللسان وصناعة العربيـــة:

ممن يعيبون على ظواهر تيسير النحو العربي في العصر الحديث مثلا يرون أنها مازالت تلقن المتعلم القواعد ، ولكنها لا تنتج متكلما وكاتبا فصيحا... في حين أن درس القواعد مهما يسرناه لن يفي بهذا الغرض ، بل علينا التفريق بين طرق تعليم الملكة وطرق تعليم الصناعة ، وهذا ما لا ما لاحظه العلامة **عبد الرحمان بن خلدون** على طلبة عصره ، فوجدهم يقرئون الألفية وشروحها ، فإن هم كتبوا رسالة أخطئوا فيها فهداه ذهنه الثاقب إلى البحث عن السبب فوجده يكمن في طريقة التعليم ،و اكتشف أن تعليم الملكة يخضع لقوانين الملكات عامة وهي الدربة والممارسة ، لا التعلم النظري ، فصاح بالقاعدة المشهورة التي لا تزال نبراس اللسانيات التعليمية إلى اليوم ، و هي أن ملكة اللسان العربي غير صناعة العربية ومستغنية عنهما في التعليم... وقال ابن خلدون في ذلك: "إن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنهما في التعليم والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ،فهو علم بكيفية لا نفس كيفية ، فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا... وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها ، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل. ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى ظلامه أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب ، وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي ، وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ، يجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ، ولا المفعول من المجرور ، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية ، وأنها مستغنية عنها بالجملة ". " [9]

ومن هنا يمكننا أن ندرك عبقرية ابن خلدون حين صرح بأن تعلمنا للملكة اللغوية لا ينبغي أن يكون انطلاقا من القواعد ، لأن العربي الفصيح هو من يتحدث بأعقد الأساليب اللغوية من دون أن يعرف قواعدها... ومثله في ذلك مثل الإنسان في جسمه و نفسه ،فهو مركب تركيبا جسميا و نفسيا عجيبا ،و لا يمكنه إدراك ذلك من نفسه و جسمه ، بل الذي يدرك ذلك هو عالم البيولوجيا وعالم النفس ، وهو يتصرف على الفطرة أو السليقة وهما يكتشفان علل تصرفه فكذلك الفصيح و اللغوي ...فعلينا إذن أن ندرك تماما الفرق بين الملكة والصناعة ، ونعرف حدود عمل كل منهما ،كما لا ننكر أن يكون للقواعد دور ثانوي في تقويم اللسان ، ولكن الدور

الأساسي في هذه الملكة للدربة و الممارسة ...و هذا ما عبر عنه **ابن خلدون** قائلا : "وتعلم مما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تركيبهم ، فينسج هو عليه ، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم ، وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم " " [10] فابن خلدون قد بين لنا الطريق الصحيح لتعليم الملكة اللغوية ،وهو نفس ما أكده علم اللسان الحديث بالتجارب الميدانية ...وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لا ينبغي علينا أن نطلب من القواعد النحوية أن تعلم طلبتنا ملكة اللسان لأن القصور ليس في القواعد بل فينا نحن... يقول **الجاحظ** : " أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه وشعر إن أنشده ، وشيء إن وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به (...) وعويص النحو لا يجدي في المعاملات و لا يضطر إليه بشيء " " [11] إشارة الجاحظ تفتح مجال التعامل مع المادة النحوية التي تنسجم وملكة المتعلم اللغوية ، حتى يتمكن من صياغة لغته التي تعتمد في التواصل اليومي.

4-بـــين النحـو العلمـي و النحـو التـعـلـيمـي:

إن المشتغلين بالدرس النحوي أو القائمين على شؤون التعليم يجمعون على أن في النحو العربي صعوبة وجفافا يقف دون سلامة التعليم... على الرغم من الجهود الجبارة المبذولة في تسييره وإصلاحه في العصر الحديث ، ومن ذلك عدم مراعاة الفرق بين النحو العلمي والنحو التعليمي : فالنحو العلمي هو كغيره من العلوم يمكن أن يكون فيه التحليلات والتعليلات العميقة التي لا يفهمها إلا المتخصصون ، أما النحو التعليمي فهو النحو المهذب الذي تراعى فيه مستويات الدارسين ، وتقدم فيه المادة العلمية في أسلوب شيق ومناسب لكل مستوى من مستويات الدراسة.

وقد نجد أن علماء العربية القدماء لم يفصلوا بين النحو العلمي والنحو التعليمي باعتبارهما أساسيان في الدرس النحوي ، وهما متكاملان يجسد أحدهما الأخر ، ومع ذلك وضعت الكثير من الكتب الميسرة للطلبة في شتى المستويات... وأما قضية تعليمية النحو فإن ميدانها تربوي تعليمي ، ويجب أن تخضع لما تخضع له العلوم جميعها من أسس تربوية في اختيار المادة المناسبة ، و الأمثلة المشوقة ، واختيار الطرائق التربوية الحديثة لتقديم المادة العلمية فيجري على النحو ما يجري على دروس الفيزياء و الرياضيات و غير ذلك من المواد الدراسية.

يقول الدكتور **حسن ظاظا**: " إن قواعد النحو والصرف في اللغة العربية قد تعرضت لتراكم كثير ومعقدة جدا ، غير ضروري إلا للتخصص". " [12] وهذه إشارة مهمة في توجيه البحث عن آليات تجعل مادة النحو ميسورة ، من خلال التحليل والتبسيط وحذف الشروحات والتعليقات ، واعتماد النحو التربوي بشكل تدريجي عبر مراحل التعليم مع مراعاة الجانب الوظيفي النافع لتقويم اللسان ، لأن اللغة توظيف واستعمال في الخطابات المحلية والعائلية ، وليست تلقين وحفظ للقواعد النحوية فقط.

فتعلم الملكة اللغوية -كما رأينا- يكون مستغنيا عن القوانين ، فالفائدة من أن يكون لنا علم بالقواعد ولا يمكننا تطبيقها ، علم بالمقاييس والقوانين ، ولا يمكننا تجسيدها في الخطاب اليومي. ثمة خلط واضح بين التنظير للغة وأمور تعلمها ، وهذا ما عبر عنه الدكتور **نبيل علي** قائلا : "و دعني أسرف القول قليل لأزعم أن تعليمنا تنظير ولغوياتنا تربويات " " [13]

ويقول **ابن هشام الأنصاري**: " والواجب على المعرب أن يفهم ما يعربه مفردا ومركبا " " [14]

وهذه إشارة إلى أن فهم الطالب للمعنى ، أن يكون عارفا بأساليب العربية والنحو دعما للفهم، وليس معرفة العلامة الإعرابية ودورها في موقعية العنصر اللغوي بالنسبة للتركيب تصريحا وتقديرا . وهذا يؤكد -في تقديري - التفريق البين بين تعليم الملكة اللغوية وبين تعليم قوانين هذه الملكة ، فطرق تعليم القوانين لا تكسب صاحبها الملكة ولو أصبح من أكبر النحاة ، بل إن تعليم الملكة اللغوية مستغنية عن القوانين كما قرر ذلك العلامة عبر الرحمان بن خلدون.

5-طرائق تدريس القواعد العربية (النحو)في الجامعة الجزائرية:

إن الطريقة التي يعتمدها أغلب المدرسين الجامعيين تميل نحو التلقين ، عكس ما تدعو إليه المقاربات الجديدة من إشراك الطالب أو المتعلم في العملية التعليمية التعلمية وجعله طرفا فعليا وعنصرا فعالا في القسم والمجتمع ، لأن المدرس الديداكتيكي هو المنشط للعمل في القسم ، والمساعد لطلبته على أن يتعلموا بالاكتشاف ، لا بالاستماع والحفظ ، وهو الذي يستطيع تكييف طرائقة حسب مستوى طلبته. وبما أن الغاية التي نشأ النحو من أجلها -كما رأينا- هي التعليم لا العلم ، كما أكد ذلك الدكتور **تمام حسان:** "لقد نشأ النحو العربي في رحاب النص القرآني و من أجل خدمته تلاوة وفهما ، وما لبثت أن توسعت دائرة الاهتمام اللغوى فشملت النص الأدبي عموما والنص الشعري فكان تعليميا بالدرجة الأولى" " [15]

نجد أن أغلب الأستاذة الجامعيين يتجهون بالقواعد اتجاها علميا ، لا هم لهم فيه إلى حفظ المصطلحات النحوية وسردها ، مما أدى إلى عدم انتفاع المتعلمين بالقواعد رغم ما يبذله هؤلاء المدرسين من جهود مضنية في التدريس. و مرد ذلك أن بعض المدرسين ولا أقول أغلبهم لا يفرقون بين النحو العلمي والنحو التعليمي ، على حسب ما قرر المرحوم الدكتور **عبد الرحمان الحاج صالح** عندما قال: "النحو العلمي غير النحو التعليمي... وعلى هذا فالنحو كهيكل للغة -وهو بذلك صورتها وبنيتها- شيء والنظرية البنيوية للغة التي هي علم النحو شيء أخر... فالذي يقصده المربي هو اكتساب القدرة على إجراء القواعد النحوية والبلاغية في وقع الخطاب ليس إلا ، وهذا لا سبيل إلى تحصيله إلا بطرق خاصة ، لا بحفظ القواعد أو دراستها على حدة" [16]

فالطريقة التي تتبع من قبل الأستاذ وجميع ما لديه من أساليب ومقومات تعمل على جذب انتباه المتعلمين وجعلهم يرغبون في مادة النحو ويتوقون إليها تعتبر الأساس في نجاح الأستاذ في عمله وفي إيصال المادة العلمية للمتعلمين (أساسيات التدريس) ، وتظهر أهمية الطريقة من خلال نجاح المدرس في عمله وعلى مدى استفادة المتعلمين من علمه.

فقد درسنا طلبتنا وعرفناهم على العديد من الطرائق التدريسية الحديثة من مثل طريقة المشروع أو حل المشكلة للفيلسوف والمربي الأمريكي جون ديوي ، إلى طريقة المربية الأمريكية هيلين باركهرست المسماة بطريقة دلتون ، إلى طريقة الطبية الإيطالية منتسوري والمربي الأمريكي أوفيد دكرولي ، إلى طريقة التعليم البرنامجي... وغير ذلك من الطرائق التعليمية الحديثة التي تعتبر طرائق عملية ، تجعل المتعلم معتمدا على نفسه في البحث واثقا بها ، مستعملا قواه العقلية " فهي طرائق للتفكير المستقل والتربية العقلية الاستقلالية ،وإن القاعدة الجوهرية فيها أن أعمال الطلبة تدور حول مشروع أو مشروعات يختارونها بأنفسهم أو يتعين لهم لتنفيذها والقيام بها بعد البحث في الطرق المؤدية إلى ذلك بدلا من جعلها محصورة في موضوع سطحي يطالبون به كحفظ قاعدة من القواعد أو نظرية من النظريات" [17]

لكن التساؤل المطروح هنا ، هل فعلا قمنا بتطبيق هذه الطرائق التعليمية في صفوفنا الدراسية ، أم لا ؟ ولماذا لم نطبقها ، ومازلنا نعتمد في تعليمنا على طريقتين اثنتين هما :

أ- الطريقة الاستقرائية الاستنباطية:

نبدأ هذه الطريقة بملاحظة الأمثلة والشواهد المختلفة ، ثم استخلاص القاعدة النحوية التي تجمع بينها. ويمكن القول إن هذه الطريقة في الاستدلال والتفكير هي التي لجأ إليها علماء اللغة القدامى ،حينما قعدوا النحو وضبطوا أحكامه. وذلك عندما نظروا في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد الشعرية والنثرية ، وخرجوا من بحثهم الاستقرائي هنا بالقوانين النحوية التي رصدوها بالملاحظة والمشاهدة والتحليل والتركيب والمقارنة ، ثم أثبتوها في مؤلفاتهم ، اللغوية. وهي الطريقة ذاتها التي مكنت الخليل بن أحمد الفراهيدي من وضع علم العروض الذي اشتهر باسمه " [18]

ولكن ما أود الإشارة إليه هو أنه حتى تنجح هذه الطريقة اليوم ، فلا بد أن ندخل عليها عناصر الإثارة والتشويق التي تخفف من جفاف هذه المادة ، والابتعاد ما أمكن عن اختيار الأمثلة البتراء.

ب- الطريقة القياسية الاستنتاجية:

وهي التي تبدأ بعرض القاعدة النحوية ، ثم بتقديم الشواهد والأمثلة لتوضيحها ، وبعد ذلك تعزز وترسخ في أذهان المتعلمين بتطبيقها على حالات مماثلة. ويلاحظ أن هذه الطريقة تعتمد على التفكير القياسي الاستدلالي ، الذي يقوم على الانتقال من المقدمات أو التصميمات إلى الوقائع ، علما أن هذه المبادئ والقواعد نكون قد توصلنا إليها بالاستدلال الاستقرائي. ويرى بعض الباحثين أن هذه الطريقة تتيح للمعلم التحكم بالمنهج المقرر وتوزيعه على مدار العام الدراسي بيسر وسهولة.إلا أنها تشغل عقل الطالب بحفظ القاعدة واستظهارها على أنه غاية في ذاتها ، وتحرمه من المشاركة في اكتشاف القوانين النحوية ، كما تصرفه عن تنمية قدرته على تطبيقها. ويلاحظ أن أكثر الكتب النحوية قد وضعت على هذه الطريقة " [19]

إن طرق تدريس القواعد في الجامعة لها دخل كبير في صعوبتها وسهولتها ،فإذا درست بطريقة آلية جافة لا تثير المتعلمين رغبوا عنها ، ونفروا منها ، أما إذا روعي في تدريسها طريقة حديثة تثير شوقهم وتستدعى اهتمامهم مالوا إليها وألفوا دراستها. وهذا ما تؤكده التجارب التعليمية الميدانية .

و كما نعرف فالطرائق التعليمية عنصر هام من عناصر المنهج ، لذلك فالإشكالية و القضية هنا هي قضية منهج تعليمي ، ذلك أن واضعي المنهج يفتقرون إلى الدراية الكافية بأسس هذا المنهج المتمثلة في الأساس الفلسفي و النفسي و الاجتماعي و المعرفي العلمي ، و من ثم

علاقة هذه الأسس بأركان المنهج نفسه و المتمثلة في الأهداف و الطرائق و المحتوى و اللأنشطة التعليمية و الوسائل و التقويم...إذن يمكنني أن أقول و دون كبير جرأة بأن الفلسفة اللغوية ذات الرؤية المتكاملة لموضوعات النحو غائبة عن واضعي فلسفة المنهج ،لأنهم وزعوا عناصر البرنامج و مفرداته توزيعا عشوائيا على سنوات الدراسة ، من دون الارتقاء إلى مستوى الدراسة المتدرجة التي توزع موضوعات الأنشطة التعليمية في المراحل التعليمية السابقة (أي من التعليم الابتدائي إلى التعليم الجامعي) على سنوات الدراسة توزيعا يتناسب و عمر المتعلم الذي يجبر على دراسة الموضوع الواحد في السنوات كلها ، كموضوع الابتداء و العلل النحوية و التقديرات و التخريجات...و غيرها من المواضيع التي يبدو فيه تضييع الوقت واضحا و جليا وكذلك عدم اهتمام المنهج بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وذلك بعدم الانتقاء المناسب و الجيد للدروس و ملائمتها لأعمار المتعلمين و مستوياتهم...و هذا بالفعل ماذكرته سابقا عندما تطرقت لضرورة تعليم النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات و التمييز بين النحو كعلم و النحو كتعليم.

و قد صدق أحد الباحثين في استخدام كلمة **"هموم"** إشارة إلى ما يعانيه تعليم اللغة العربية في عصرنا ، فحدد ملامح المشكلة اللغوية ، ثم شخص جوانبها العملية و العلمية والتربوية ، و توصل إلى نتيجة نراها خطيرة ، قائلا: " و خلاصة القول إن أساليب تعليم اللغة العربية القائمة حاليا ، و كذلك الظروف التربوية و الاجتماعية لتطبيقها تكاد تؤدي إلى وضع العربي في موضع (لغة أجنبية) يدرسها الطالب ، ليحصل على علامة النجاح فيها ، لا ليكتسبها كسلاح يمارسه في معركة الحياة " [20]

و بالتالي فأنا لا أبالغ إن قلت أن تعليم قواعد اللغة العربية ، بل جميع مواد اللغة العربية في محنة أو أزمة لا تقل عن أزمة أمتنا العربية في التمزق و التشتت ،لذلك لابد لنا من خطة سريعة و بناءة للقضاء على هاته الأزمة .و على هذا الأساس أرى –بحكم تجربتي الشخصية في مجال التعليم الجامعي-أنه من أولى الخطوات و أجداها نفعا التركيز على الجوانب التطبيقية في دراسة اللغة و تدريسها ، من خلال الاستفادة من النتائج الباهرة التي حققها علم اللغة التطبيقي بفروعه المختلفة ، و كذلك التزود بمختلف الأفكار التربوية التي أقرها علم اللسان التربوي الحديث ، ووضع برامج لغوية شاملة لكل المراحل التعليمية التي يمر بها المتعلم لقواعد اللغة العربية ، و كذلك التكفل الجيد بمدرسي اللغة العربية من خلال الإعداد العلمي و التربوي الجيد للأستاذ الجامعي ، و كذلك إسناد مقاييس التخصص لأهلها و ليس العكس

،حتى يتمكن الأستاذ من التعامل و التفاعل الجيد مع طلبته أثناء الدرس ،نظرا لرغبته الملحة بتدريس المادة المتكون فيها تكوينا جيدا .ولأن ما نلاحظه في جامعاتنا هو أن المقاييس تسند لغير أهلها بغية اكتمال النصاب القانوني لساعات العمل ،أو سد الفجوات ،حيث يتولى الأستاذ المتخصص في الآداب الأجنبية تدريس القواعد العربية مثلا دون مراعاة اهتمام لا الأستاذ و لا الطالب ،مما يؤدي إلى نفور الطلبة من المادة نظرا لعدم استيعابهم و فهمهم لها و حتى تقبلهم لها من الأستاذ الذي يأتي إليه مرغما و مكرها .

ناهيك عن هذا الطالب الذي لم يختار تخصص اللغة العربية طوعا ،بل أكره على ذلك و وجد نفسه في قسم اللغة العربية مرغما بعدما تم رفضه في تخصصات أخرى ،و لاسيما التخصصات العلمية و السبب في ذلك هو على الأرجح عدم حصوله على علامات مناسبة في امتحان البكالوريا.

6- سبل تيسير تعليم القواعد العربية (النحو)في الجامعة الجزائرية:

ومن منظور تشخيص واقع تدريس النحو العربي في الجامعة الجزائرية ، ومن منطلق الربط بين موضوع تيسير النحو العربي من مظاهر أزمة الدراسات النحوية إلى موضوع تعليمه وتعلمه يمكننا ملاحظة وتسجيل ما يلي:

1- تجاهل النظريات النحوية الحديثة ، فقد التزم معظم نحاتنا الصمت تجاه النظريات النحوية الحديثة ، وربما كان السبب وراء ذلك هو عدم توفر العدة المعرفية النظرية من رياضيات متقدمة ومنطق حديث ، ناهيك عن الإغفال شبه التام للغويات الحاسوبية وإنجازاتها الباهرة في معالجة النحو آليا ، وما أدت إليه من كشف كثير من الأسرار النحوية.

" لقد أغفلت جامعاتنا و مجامعنا ومعاهدنا اللغويات الرياضية واللغويات الحاسوبية والإحصاء اللغوي وبناء المناهج اللغوية ،وتلك بمثابة الهياكل الأساسية للتنظير النحوي الحديث " [21]

2- لابد من إعادة النظر في المنظومة اللغوية وتحديد الأساليب اللغوية التي تتصل بالاستعمال اليومي وتستغل في تعلم القواعد النحوية والصرفية حفاظا على انتظام اللغة ، التي تثبت بها القواعد اللغوية وتكون هي وسيلة الاتصال المسموع والمكتوب ، وفي مختلف الميادين... لأن طلبتنا كثيرا ما يتعاملون مع مصطلحات ينتهي توظيفها مع نهاية الحصة الدراسية... فلابد من توجيه البحث عن آليات تجعل مادة النحو ميسورة ويتخلص المتعلم من

فكرة الإعراب هو النحو ، والنحو هو الإعراب ، ويركز على فهم معنى التركيب ، لأن فهم المعنى يساعد على الإعراب.

3- الانطلاق من مبدأ النحو العام ، واستغلال ظاهرة التوسط النحوي للعربية ، وذلك من خلال الاهتمام بالدراسات المقارنة والتقابلية .

4- الانطلاق عن مدخل الدلالة (المعنى بشكل عام) حيث يساعد هذا المدخل على إضافة العمق النظري لكثير من الظواهر النحوية.

5- لقد تحول مجال الاهتمام - كما رأينا- في العملية التعليمية التعلمية ، من المدرس إلى الطالب ، فبعدما كان الأستاذ هو محور العملية التعليمية بهندامه وحركته ومعلوماته وأيديولوجيته وميوله ورغباته... وكان الطالب متلقيا لاحق له في المشاركة يسمع ويعي ويعيد ما سمعه--------في الامتحان ، إن وعاه ، أصبح الطالب اليوم محور العملية التعليمية بدوره مشاركا كفاءة ومعلقا ومنتجا ومنتقدا.

كما تطورت تقنيات التدريس بشكل ملحوظ ، "إذ شمل التقدم التكنولوجي جل مظاهر الحياة الاجتماعية. بما في ذلك الحياة المدرسية والجامعية ، وأصبح الحاسوب يوفر إمكانيات هائلة ، وتعددت مجالات استخدامه كهدف تعليمي. أو كعامل مساعد في العملية التعليمية..." [22]

من ثم فإن استخدام الحاسوب والقاعات الذكية في تعلم العربية بفروعها المختلفة - بالأخص في الجامعة- سيزيد من سرعة العمل العلمي ، ويحقق الموضوعية والمنهجية والدقة ، ويساعد أيضا في عمليات التقويم المستمر وتصحيح استجابات المتعلم أولا فأول... يمكننا حتى من المعالجة الآلية لمنظومة اللغة العربية ، أي معالجة منظومة النحو العربي آليا ، هذا الموضوع الذي ما زال محل نقاش حتى اليوم ، لأنه موضوع متعدد الجوانب ، دقيق المسالك ، يصب فيه نتاج كثير من النظريات النحوية الحديثة ، وأساليب الذكاء الاصطناعي المتطورة ، ويعد أولوية من أولويات دراسة النحو التي يجب أن تصرف لها الجهود.

6- ينبغي الاعتماد في تدريس النحو على مبدأ الانطلاق من النصوص العربية ، على أن يختار النص الممتع المفيد ، الذي تتوافر فيه مجموعة من شواهد الموضوع ، ثم ننتقل مع طلبتنا -برفق وأناة - من المبادئ البسيطة باتجاه القاعدة النحوية التي تسعى للوصول إليها على أن نشاركهم في استنباطها وصوغها وبناءها. وبعد ذلك نلجأ إلى التدريبات والتطبيقيات الوافية ،لتوظيف القاعدة في سياقات لغوية على منوال شواهد النص ، التي تدعو إلى تعليم

النحو في ثنايا النصوص اللغوية الجيدة بالطريقة الاستقرائية الحوارية ، مع ما يتبع ذلك من تحليل وتركيب وقياس ومقارنة ، وغيرها من أساليب الاستدلال العقلي الأخرى " [23]

7-يجب على المشرفين على توجيه الطلبة إلى مختلف الشعب ، إعادة النظر في معايير قبول الطلبة في أقسام اللغة العربية و آدابها ، و إعادة الاعتبار لمقياس النحو العربي من خلال جعلها من المقاييس الأساسية في الانتقاء ،كما يجب على كل طالب ينتمي إلى قسم اللغة العربية أن ينمي هذا الانتماء ، من خلال تفاعله الجيد مع هذه اللغة ، في أن يدرسها ، و يبذل قصارى جهده في اتقانها قراءة و كتابة و استعمالها في كل المواقف و الظروف مفتخرا ، معتزا بها ، لتكون أحب المواد و العلوم إلى قلبه و عقله.

8-و يصح أن نقر أن ثمة معضلات في تعليم اللغة العربية عموما و قواعدها خصوصا ، بعضها اتصل بكفاءة المتعلم اللغوية و قدراته التواصلية ، و ثانية تتصل بكفاءة مدرسي و أساتذة اللغة العربية ، و ثالثة تتصل بالمنهاج و مصداقية المحتوى اللغوي و جودته و وفائه بالأهداف التي وضع لها ، و رابعة تتصل بكفاءة أساليب التقويم اللغوي ، و خامسة تتصل بعوامل إنجاح تدريس اللغة و قواعدها داخل المدرسة و خارجها ، و سادسة ، و سابعة...الخ ، لذلك لابد من تقديم أساليب علاج إجرائية ، تقبل التطبيق و تناسب مقتضى الحال الاجتماعي عندنا ، و هذا ما جعل بعضهم يدعو إلى تطوير تعليم اللغة العربية ، اعتمادا على أسس فنية يمكن حصرها في قضية عامة هي: ممارسة اللغة ليخرج بها من مظاهر حياة اللغة إلى مستوى ضمان حيوية اللغة ، فالممارسة تمر بمراحل أربع رئيسة ، هي: تدريس اللغة ، و الانتاج القيم في اللغة المعنية ، و التمرس بها حياتنا ، إجراء البحوث العلمية في صلبها " [24]

6-لابد أن نتبين الطريق الصحيح لتعليم تلاميذنا و طلبتنا الملكة اللغوية ،تماما كما أوضحها لنا العلامة ابن خلدون ، الذي تحدث عن ملكة اللسان العربي عند العرب الفصحاء قائلا: " فالمتكلم من العرب — حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم- يسمع كلام أهل جيله و أساليبهم في مخاطباتهم ، و كيفية تعبيرهم عن مقاصدهم ، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا ،ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ،و من كل متكلم ، و استعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة ، و صفة راسخة ، و يكون كأحدهم " " [25]

فقد ركز ابن خلدون-كما رأينا-على التفريق بين الملكة اللغوية و قوانين تلك الملكة فملكة اللغة هي كغيرها من الملكات و المهارات التعليمية الأخرى تكتسب بطرق خاصة ، و هذه الطرق تعتمد على الدربة و الممارسة المستمرة ، و بالنسبة للسان فيجب الاعتماد على شيئين اثنين أولهما سماع الجيد من المنظوم و المنثور ،ومن ثم تقليد هذا السماع بصورة مستمرة حتى تصير الظاهرة اللغوية ملكة راسخة...لذلك وجدناه يقول في موضع آخر من المقدمة :" إن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية و مستغنية عنهما في التعليم ،و السبب في ذلك هو أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة و

مقاييسها خاصة ، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية ،فليست نفس الملكة ،و إنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما و لا يحكمها عملا...و هكذا العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل " " [26]

ألا تجد عزيزي القارئ أن هذا الرأي الذي جاء به ابن خلدون ما يزال سائدا و معتمدا في اللسانيات التطبيقية ،و التربوية إلى غاية اليوم ، فهو القائل بأن ملكة اللسان مستغنية بالجملة عن صناعة اللغة ، أي أنك يمكن أن تجيد الملكة و لا تجيد الصناعة ، لأن تعلمك للملكة اللغوية لا ينطلق من القواعد .و لأن ابن خلدون قد قدم لنا الطريق الصحيح لتعليم الملكة اللغوية ، حين قال: " و تعلم مما قررناه في هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم ، فينسج هو عليه ، و يتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم ، و خالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم " " [27]

فالإشكال إذن قائم –كما لاحظنا-في طريقة التعليم ، لأن تعليم الملكة اللغوية يخضع لقوانين الملكات عامة و هي الدربة و الممارسة ، لا التعلم النظري ، أو باختصار شديد " إن ملكة اللسان العربي غير صناعة العربية و مستغنية عنها في التعليم ".

7-يجب أن ننبه طلبتنا إلى بعض الأخطاء و المطبات التي وقع فيها الكثير من الكتاب العرب المحدثين ، من الذين تكلموا في موضوع تيسير النحو ، و لاسيما أولئك الذين لا يفرقون بين ملكة اللسان و صناعة العربية ، بل وصفوا النحو العربي بالتعقيد و التفلسف والتعليل العقيم و غير ذلك من الاتهامات الباطلة التي لا تمت إلى نحونا العربي بأي صلة تذكر ، ويكفيهم في ذلك أن اكتفوا بقراءة كتاب سيبويه حتى خرجوا منه بهذه الاتهامات الباطلة ومن أمثلة ذلك ما قاله سمر روحي الفيصل في كتابه " المشكلة اللغوية المعاصرة" : " الكتب

النحوية الميسرة ما زالت تلقن المتعلم قواعد الصنعة ، لكنها لا تعده لإتقان اللغة حديثا وكتابة ، و لاشك أن هذا الإتقان هو الهدف الأساس من التيسير ، فإن لم يتحقق فلا فائدة من حركة التيسير كلها " " [28]

فهذا الكاتب واحد من الكتاب العرب المحدثين الذين لا يفرقون بين طرق تعليم الملكة وطرق تعليم الصناعة ، و على هذا الأساس فقد طلب من درس القواعد أن ينتج متكلما و كاتبا فصيحا ، و هو لا يدرك أن القواعد مهما يسرناها لن تفي بهذا الغرض ،لأنه طريق و منهج غير منهجها و طريقها. بل للنحو وظيفتان-و قد بينت هذا سابقا-وظيفة علمية و وظيفة تعليمية فتقوم الأولى على تحليل اللسان ، و تعليل ظواهره ،بينما تركز الثانية على كيفية تلقين التلاميذ القواعد النحوية مع مراعاة مستويات التلاميذ ، و كذا اتباع طريقة التدرج في التعليم لأن العلوم لا يمكن أن تستوعب دفعة واحدة.

و من الأعلام الأقدمين الذين دعوا إلى ضرورة تعليم النحو الوظيفي نجد **الجاحظ** (ت255ه) ،الذي تتصف دعوته حقا بمبدأ التيسير و الاصلاح مما قاله من الترفق بالصبيان في تعلم النحو ، و هي رسالة إلى المعلمين : " أما النحو فلا تشغل قلب الصبي منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، و من مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه ، و شعر إن أنشده ، و شيء إن وصفه ، و ما زاد على ذلك فهو عما هو أولى به...و عويص النحو لا يجدي في المعاملات ، و لا يضطر إليه شيء " " [29]

و في هذا المضمار يدعو بعض الدارسين إلى إلغاء عملية تدريس النحو العربي للصبي في مرحلة التعليم الابتدائي ، لأنه يضر التلميذ و يصعب عليه العملية ، مفضلين تلقين النصوص العربية السليمة ، السهلة ، المعبرة عن حياته و بيئته ، و مناسبة أكثر لعمره و قدراته التعليمية.

8-علينا أن ننبه طلبتنا إلى ما قدمه علماء العربية القدماء من بحوث جادة و اسهامات لا تنكر و لا ترد في موضوع تعليم النحو و تيسيره على الناشئة ، و نخرج من عقولهم تلك النظرة الخاطئة و الهدامة حول صعوبة النحو و تعقده ، و من أمثلة ذلك ما قدمه العلامة عبد الرحمان ابن خلدون الذي كانت له كلمته في تيسير النحو و تسهيله على المتعلم ، " فمما أضر بالناس في تحصيل العلم و الوقوف على غايته ، كثرة التآليف ،و اختلاف المصطلحات في التعليم ،و تعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم و التلميذ باستحضار ذلك ، و حينئذ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ، و مراعاة طرقها ،و لا يفني

عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها ، فيقع القصور و لابد دون رتبة التحصيل ...وبمثل ذلك أيضا علم العربية من كتاب سيبويه و جميع ما كتب عليه ،و طرق البصريين والكوفيين و الأندلسيين من بعدهم ، و طرق المتقدمين و المتأخرين : مثل ابن الحاجب وابن مالك ، و جميع ما كتب في ذلك ، و كيف يطالب به المتعلم و ينقضي عمره دونه " "[30]

و معنى هذا أن المتعلم يعد ركنا أساسيا من أركان العملية التعليمية ، إذ يرى ابن خلدون أن حصول ملكات العلوم – بما فيها العلوم اللسانية- تكون تلقينا مباشرا عن الشيوخ وبالتدرج ، و يراعي في ذلك قوة العقل و الاستعداد لقبول ما يرد على المتعلم من علوم. والعلامة ابن

خلدون يشير بعد ذلك في مقدمته إلى أهم طرائق التدريس ، و كيفية تحصيل العلوم - بما فيها العلوم اللسانية – قائلا : " اعلم أن تلقين العلوم إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، و قليلا قليلا ، و يلقي عليه أولا مسائل من كل باب في الفن هي أصول ذلك الباب ، و يقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ، و يراعي في ذلك قوة عقله و استعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن ، و عند ذلك تحصل الملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية ...ثم يرجع به إلى الفن ثانية ، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوحي الشرح و البيان و يخرج عن الاجمال ، و يذكر له ما هنالك من الخلاف و وجهه...وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم و إفادته ، و يحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم و يطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم ، و صوابا فيه ، و يكلفونه وعي ذلك و تحصيله..." "[31]

فيرى ابن خلدون أن حصول ملكات العلوم تلقينا بالمباشرة عن الشيوخ ، أكمل و أكثر تمييزا للاصطلاحات و المعارف ، و أشد استحكاما و أقوى رسوخا ، و على قدر كثرتهم تحصل الملكات و ترسخ....مع مراعاة التدرج في تلقين العلوم بالطبع ، بالانتقال من السهل إلى الصعب ، و من البسيط إلى المركب...غير أن ما نلاحظه في جامعاتنا الجزائرية مثلا أن المقاييس تسند لغير أهلها ، بغية اكتمال النصاب القانوني أو سد الفجوات ، مما يدفع بالأستاذ إلى انتهاج الطريقة الإملائية ، و ترهيب الطلبة بالعلامات و الخشونة في التعامل معهم...مما يولد الاستياء و عدم الفهم و بالتالي عزوف الطالب عن دراسة هذه المادة ،

والبحث عن شتى السبل للحصول على العلامة من أجل الانتقال فقط و ليس من أجل التعلم و تحصيل الفائدة.

و على هذا الأساس أرى أنه ينبغي التزود أكثر بمختلف الأفكار التربوية و التعليمية التي أقرها علم اللسان التربوي الحديث ، و وضع برامج لغوية شاملة لكل المراحل التعليمية التي يمر بها المتعلم لقواعد اللغة العربية ، و نتفادى الطريقة الإملائية التي لا تعود بالنفع على المتعلم ، بل تبعث فيه الكسل و التواكل.

9-إن المشتغلين بالدرس و القائمين على شؤون التعليم يجمعون على أن في النحو العربي صعوبة و جفافا يقف دون سلامة التعليم ...على الرغم من الجهود الجبارة المبذولة في تيسيره و إصلاحه في العصر الحديث. لذلك لابد من مراجعة و تقويم للدرس النحوي ، على امتداد الزمان ، باعتبار أن المراجعة مطلب حضاري ، و شرط من شروط أي نهضة و دليل حياة وحركة بالنسبة للأمم و المجتمعات...و من جهة أخرى فهي تقتضي عدم إغفال أي فئة ممن كتب لهم أن يدرسوا هذا العلم ، و استحضار كل ما قيل فيه نقدا و توجيها و إطراء.

10-لا يجب أن يفهم بأن التيسير النحوي (مثلا) يعني الاختصار المخل بالتحصيل والمفسد للعملية التعليمية.. و إنما الغرض من التيسير هو الاستعمال الأمثل للغة والممارسة العملية للغة بين الناطقين بها من خلال معرفة التراكيب و الأساليب العربية دون إجهاد العقل في حفظ القواعد. و من ثم فالغرض من تدريس النحو هو الاستعمال والممارسة والتفطن إلى خواص تركيبه ، و لا يعني حفظ قواعده و شواذه.

11-اعتماد المنهج البنيوي الوصفي البعيد عن التأويل و التعليل و اللامنطق ، لأنه يراعي المستويات اللغوية (من الصوت إلى الدلالة) و يصف المفردة اللغوية سواء منها المكتوبة أو المنطوقة ، نظرا لقيامه على مفاهيم اللسانيات الحديثة.

12-بما أن التعليمية هي " الدراسة العلمية لطرق التدريس و تقنياته ، و لأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها المتعلم قصد بلوغ الأهداف المنشودة ، سواء على المستوى العقلي أو الوجداني او الحسي الحركي..."-على حد تعبير الدكتور محمد الدريج في كتابه تحليل العملية التعليمية-و على هذا الأساس فلابد من اعتماد حاجيات المتعلمين و أهدافهم ، لأن معرفة الاحتياجات هو أساس حل الإشكالية ، و مركز الاهتمام في العملية التعليمية التعلمية ، و كذا اعتماد الطرائق الحديثة و المهمة في تعليمية النحو للطلبة الجامعيين خصوصا و لكافة المتعلمين عموما.

7- خـــاتـمـــة:

و ما يستنتج من هذا الإطلاع على كيفية تدريس مادة القواعد (النحو) في الجامعة الجزائرية ، يلاحظ أنه بالقدر الذي أصبحت سبل البحث في الدرس النحوي ممهدة ، و الإمكانات وافرة ، و الوسائل متنوعة ، يتراجع الدرس النحوي ، و صارت استجابة الاهتمام تقارب اللاشيء وسادت الرتابة في تقديم المادة اللغوية للمتعلم.

إنها ظاهرة ملفتة للانتباه و تستدعي مراجعة بناء منهاج الدرس النحوي في المستويات المختلفة ، و تكوين من يقوم بهذه الرسالة ، تكوينا يمكنه من استقراء محتوى المنهاج وترتيب موضوعاته بما يتناسب و القدرات الفعلية للطلبة ، و فحص طرائق التدريس ، و تنويع التقنيات و الوسائل كلما دعت الضرورة إلى ذلك حتى لا ندع فساد الألسنة يصدع مفصل العربية.

وصفوة القول أنه ينبغي الإسراع في عملية إعادة النظر في برامج التعليم ومناهج وطرق التدريس في المراحل الأربع (من التعليم الابتدائي إلى التعليم العالي) وفق المتطلبات المعرفية و العلمية الجديدة ، والأكثر من ذلك ينبغي الإيمان العميق بمشروع ترقية اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، وهي قوة حضارية وتاريخية وثقافية عند المسلمين. وهذا يتطلب منا إنشاء مؤسسات علمية ومراكز للبحث والترجمة ومجامع علمية تهتم بالتطورات التاريخية لفلسفة التربية عامة والتعليم التقليدي بخاصة ، وهذا عند العرب والمسلمين وذلك لكي نضع أنفسنا نحن الجزائريين موضع تساؤل ، أي كيف نصلح منظومتنا التربوية ؟ " [32]

فشخصية المجتمع الجزائري وثقافته تتطلب منه رفع قيمة ومكانة اللغة العربية بين الأمم لأنها لغة غنية من الناحية الشرعية واللسانية والتراثية والأدبية والفلسفية. وحتى ترتقي هذه اللغة لابد من أن تدرس هذه الميادين في أغلب مؤسساتنا التعليمية والتربوية باللغة العربية.

مصادر البحث و مراجعه:

[01] - أفنان نظير دروزة ، "النظرية في التدريس وترجمتها علميا" ، دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط(2) ،عمان-الأردن ،2000م ،ص:44.

[02] - أبو الفتح عثمان بن جني ،(د-ت-ن) ، الخصائص ،ج(1) ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: الرابعة ،مصر ،(د-ت-ن) ،ص:34.

[03] - ابن الأنباري ،الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق :سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، (د-ط) ،دمشق ،1957م ،ص:95.

[04] - ابن جني ، الخصائص ، ج(2)،ص:05.

[05] - ينظر: حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط1 ،القاهرة-مصر ،1994م ،ص:01 .

[06] - سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ،كتاب سيبويه ،ج(4) ،شرح و تحقيق:عبد السلام محمد هارون ،عالم الكتب ،ط(1983م) ،بيروت-لبنان ،ص:109.

[07] - المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

[08] - عبده الراجحي ،النحو العربي والدرس الحديث – بحث في المنهج – "، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، ط(1) ،بيروت-لبنان ،1979م ،ص:49.

[09] - ابن خلدون عبد الرحمان ،المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، ط(2)، بيروت – لبنان ، 1979م ،ص:560.

[10] - المصدر نفسه ،ص:561.

[11] - شوقي ضيف ، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده ، دار المعارف ، (د-ط) ،مصر ،1986م ، ص:13.

[12] - حسن ظاظا ،كلام العرب -من قضايا العربية-، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،(د-ط) ،بيروت-لبنان ،1976م ، ص:159.

[13] - نبيل علي ، اللغة العربية والحاسوب ،منشورات تعريب ،ط(1)،لبنان ،1988م ،ص:361.

[14] - جمال الدين بن هشام الأنصاري ،مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج.(02)،دار الفكر ،ط(06)، بيروت-لبنان ، 1985م ،ص:527.

[15] - تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ،عالم الكتب ،ط (03) ، القاهرة-مصر ،1998م ،ص:13.

[16] - عبد الرحمان الحاج صالح ،الأسس العلمية و اللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي ، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، ،الجزائر ،2000م ، ع(3)،ص:119.

[17] - حسن شحاتة ،" تعليم اللغة العربية – بين النظرية والتطبيق– ، الدار المصرية اللبنانية ،ط (04)، القاهرة-مصر ،2000م ، ص:40.

[18] - نايف معروف ، خصائص العربية وطرائق تدريسها ، دار النفائس ،ط (1) ، بيروت- لبنان ، 1985م ، ص : 181 .

[19] - نايف معروف ، خصائص العربية و طرائق تدريسها ،ص:182.

[20] - حسام الخطيب ، هموم اللغة العربية في عصرنا ،مؤتمر تطوير تدريس علوم اللغة العربية و آدابها ،اتحاد المعلمين العرب ،الخرطوم-السودان ،1974م ،ص:560.

[21] - ينظر: نبيل علي ، اللغة العربية والحاسوب ، ص: 372 .

[22] - محمد الدريج ، تحليل العملية التعليمية ، ص :15 .

[23] - ينظر: نايف معروف ، خصائص العربية وطرائق تدريسها ،ص :183 .

[24] - ينظر : محمد الهادي الطرابلسي ، دراسة تجريبية لتحديد المهارات اللغوية في فروع اللغة العربية ، دار القلم ،(د-ط)، الكويت 1974م ، ص 45 .

[25] - ابن خلدون ، المقدمة ، ص : 454، 455.

[26] - المصدر نفسه ، ص 560 .
[27] - المصدر نفسه ، ص : 561 .
[28] - سمر روحي الفيصل ، المشكلة اللغوية المعاصرة ، دار المعارف ، ط(1)،القاهرة-مصر ،(د-ت-ن)،ص:69.
[29] - الجاحظ عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ج(1) ، مكتبة مصطفى بابي الحلبي ، مصر ،(د-ت-ن)،ص:99.
[30] - ابن خلدون عبد الرحمان ،المقدمة ، 1979م ،ص:623.
[31] - المصدر نفسه ، ص:625.
[32] - ينظر : جلال أمين ، 1798 /1998 ، العولمة و التنمية العربية ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ، ع (39) ، 1997 م ، ص:117

---

[1] - أفنان نظير دروزة ، "النظرية في التدريس وترجمتها علميا" ، دار الشروق للنشر والتوزيع ،ط(2)،عمان-الأردن ،2000م ،ص:44.

[2] - أبو الفتح عثمان بن جني ،(د-ت-ن)، الخصائص ، ج(1)،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: الرابعة ،مصر ،(د-ت-ن)،ص:34.
[3] - ابن الأنباري ،الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو ، تحقيق :سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، (د-ط)،دمشق ،1957م ،ص:95.
[4] - ابن جني ، الخصائص ، ج(2)،ص:05.
[5] - ينظر: حسام البهنساوي ،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب و نظريات البحث اللغوي الحديث ، مكتبة الثقافة الدينية ،ط1،القاهرة-مصر ،1994م ،ص:01 .
[6] - سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ،كتاب سيبويه ،ج(4) ،شرح و تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،عالم الكتب ،ط(1983م) ،بيروت-لبنان ،ص:109.
[7] - المصدر نفسه ، نفس الصفحة .
[8] - عبده الراجحي ،النحو العربي والدرس الحديث – بحث في المنهج – " ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، ط(1)،بيروت-لبنان ،1979م ،ص:49.
[9] - ابن خلدون عبد الرحمان ،المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ، ط(2)، بيروت – لبنان ، 1979م ،ص:560.
[10] - المصدر نفسه ،ص:561.
[11] - شوقي ضيف ، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده ، دار المعارف ، (د-ط)،مصر ،1986م ، ص:13.

[12] - حسن ظاظا ،كلام العرب -من قضايا العربية- ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،(د-ط)،بيروت-لبنان ،1976م ، ص:159.
[13] - نبيل علي ، اللغة العربية والحاسوب ،منشورات تعريب ، ط(1)،لبنان ،1988م ،ص:361.

---

[14] - جمال الدين بن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج.(02)،دار الفكر ، ط(06)، بيروت- لبنان ، 1985م ،ص:527.

[15] - تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ،عالم الكتب ، ط (03) ، القاهرة-مصر ،1998م ،ص:13.

[16] - عبد الرحمان الحاج صالح ، الأسس العلمية و اللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي ، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية ، ،الجزائر ،2000م ، ع(3) ،ص:119.

[17] - حسن شحاتة ،" تعليم اللغة العربية — بين النظرية والتطبيق— ، الدار المصرية اللبنانية ، ط (04)، القاهرة- مصر ،2000م ، ص:40.

[18] - نايف معروف ، خصائص العربية وطرائق تدريسها ، دار النفائس ، ط (1) ، بيروت- لبنان ، 1985م ، ص : 181 .

[19] - نايف معروف ، خصائص العربية و طرائق تدريسها ،ص:182.

[20] - حسام الخطيب ، هموم اللغة العربية في عصرنا ، مؤتمر تطوير تدريس علوم اللغة العربية و آدابها ، اتحاد المعلمين العرب ،الخرطوم-السودان ،1974م ،ص:560.

[21] - ينظر: نبيل علي ، اللغة العربية والحاسوب ، ص: 372 .

[22] - محمد الدريج ، تحليل العملية التعليمية ، ص :15 .

[23] - ينظر: نايف معروف ، خصائص العربية وطرائق تدريسها ،ص :183 .

[24] - ينظر : محمد الهادي الطرابلسي ، دراسة تجريبية لتحديد المهارات اللغوية في فروع اللغة العربية ، دار القلم ،(د-ط)، الكويت 1974م ، ص 45 .

[25] - ابن خلدون ، المقدمة ، ص : 454، 455.

[26] - المصدر نفسه ، ص 560 .

[27] - المصدر نفسه ، ص : 561 .

[28] - سمر روحي الفيصل ،المشكلة اللغوية المعاصرة ،دار المعارف ،ط(1)،القاهرة-مصر ،(د-ت-ن)،ص:69.

[29] - الجاحظ عمرو بن بحر ،الحيوان ، تحقيق:عبد السلام محمد هارون ،ج(1) ، مكتبة مصطفى بابي الحلبي ،مصر ،(د-ت-ن)،ص:99.

[30] - ابن خلدون عبد الرحمان ،المقدمة ، 1979م ،ص:623.

[31] - المصدر نفسه ، ص:625.

[32] - ينظر : جلال أمين ، 1798 /1998 ، العولمة و التنمية العربية ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ، ع (39) ، 1997 م ، ص:117.